مصاديق بناء المتقين في القرآن الكريم

الدكتورة فاطمه قرباني
دكتوراه في فرع العلوم القرآنية، جامعة معلمون، شيراز، إيران
ghorbani-1212@yahoo.com
الدكتور محمد مهدي رضواني حقيقي
أستاذ مساعد، قسم علوم القرآن، جامعة آزاد الإسلامية، شيراز، إيران
mehdi.rhs@gmail.com
الدكتور رضا رستمي زاده
rostamizadeh@mail.uk.ac.ir
أستاذ مساعد، قسم علوم القرآن، جامعة كرمان، إيران

Examples of Bana al-Mutaqeen in the Holy Qur'an

Dr. Fatemeh Qurbani
PhD in Quranic Sciences, Moallemun University , Shiraz , Iran
Dr. Muhammed Mahdi Radwani is real
Assistant Professor , Department of Quranic Sciences , Islamic Azad University , Shiraz , Iran
Dr. Reza Rostami Izadeh
Assistant Professor, Department of Quranic Sciences, University of Kerman , Iran

الملخص:-

الموضوع الرئيسي للقرآن هو الإنسان وتربيته وازدهار الكمالات الإلهية له. أولى الآيات التي نزلت على النبي i تشير إلى خلق الإنسان. «﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ العلق/١ و٢. إنها لا تشير إلى خلق الإنسان فحسب، بل تشير أيضًا إلى تعلمه، وتعتبر أن ذروة كرامة الله هي تعليم الإنسان بالقلم: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ (العلق/٣ و٤). هدف القرآن الكريم هو أن يرتقي الإنسان إلى الكمال الإلهي، ولتحقيق هذا الهدف يحتاج الإنسان إلى نماذج وأدوات تمهد له الطريق للوصول إلى وجهته. إن أسمى قدوة ذكرت في القرآن هي نبي الإسلام i : «﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...﴾» ﴿الأحزاب/٢١﴾. باعتبار أن كبار وقادة المجتمع هم قدوات خالدة فيه؛ لذلك، توجد في القرآن أمثلة ومصاديق على الأتقياء. تم في هذا البحث دراسة أمثلة ومصاديق على الأسوات القرآنية الكاملة والجديرة بالاهتمام والتي تنطبق على القواعد. من الواضح أن إحدى طرق خلق بيئة تعليمية مواتية هي خلق أسوات يحتذى بها في تلك البيئة والمجتمع ورفض النماذج غير الملائمة. إن وجود النماذج المحبوبة في المجتمع في حد ذاته يدفع الناس في تلك البيئة تجاههم ويشجع على اتباع فضائلهم الأخلاقية والاقتداء بها.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، مصاديق بناء المتقين، التقوي، المصاديق الخاصة.

Abstract:-

The subject matter of holy Quran includes man, his education, and flourishing of his divine perfections. First verses sent down to the Prophet (peace be upon him) , refer to the creation of man. The verse 'Read! In the Name of your Lord Who has created (all that exists)' (Alaq,1-2) not only implies the creation of man but also implies his education process and it considers the education of man through pen (Who has taught (the writing) by the pen - Alaq, 3-4) as the culmination of God magnanimity. The aim of Quran is to help man reach beyond the perfection; and man needs role models and tools to pave his way toward this goal. The best role model in holy Quran is Prophet Mohammad (peace be upon him): 'There is certainly a good exemplar for you in the Apostle of Allah — for those who look forward to Allah and the Last Day, and remember Allah much' (Ahzab, 21).

As great men and leaders are considered as role models in any society, holy Quran introduces some examples as pious and leaders. This study investigates some great and prominent role models in holy Quran. It is evident that one method for creation of proper educational environment is creating qualified role models in that environment and society and rejecting improper models. The favorite role models in society attract people and encourage them to emulate their moral virtues.

Key words: the Holy Qur'an, evidence of building the pious, piety, special evidence.

المقدمة:

إن أئمة أهل البيت d هم خير مثال على الأسوة الحسنة، لأن هذه الآية من جهة تعتبر أقرب الناس لإبراهيم a هم أتباعه: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ...﴾ وهذا ينطبق على أئمة الشيعة، ومن ناحية أخرى، فإن عبارة "والذين معه" في الآية ٤ من سورة الممتحنة، والتي اعتبرتهم أسوة حسنة، تنطبق على المؤمنين بإبراهيم وأتباعه. وتعتبر الأمة الوسط أيضًا قدوة في الآية ١٤٣ من سورة البقرة: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ وتنطبق على أئمة الشيعة، وبما أن أئمة الشيعة يتمتعون بالعصمة وهم مصونون من الخطأ، فإن كلامهم وسلوكهم وأخلاقهم كانت حجة وهم بدون استثناء أسوة حسنة للجميع. وقد ورد في الأحاديث أن الأئمة d أسوة حسنة.

إن المراد بهيكل مصداق المتقين هو تقديم الناس الذين اختارهم الله وقدمهم للناس بالحكمة والتقوى والذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم. والحمد والشكر هو أهم قاعدة تتضمن قاسم التقوى المشترك لهذه الفئة من الأفراد. أولئك الأتقياء الذين يتخذون خطوات عظيمة وجديرة على مستوى الحمد والشكر يصبحون مختارين من الله ويتفوقون في التقوى ويصبحون قدوة للآخرين في مجال التقوى. وقد ورد هذا المعيار والمصادق في الآية ٥٣ من سورة الأنعام في قوله تعالى: «﴿... أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾»

في الواقع، يبحث الله بين عباده حسب معيار الحمد ويختار أكثر الناس امتنانًا كمصداق كامل للمتقين. وهنا يقول: «﴿... اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ...﴾»(الأنعام/١٢٤).

البحث:

للتقوى مكانة خاصة في القرآن الكريم وأحاديث نبي الإسلام i والأئمة المعصومين d ، وفي كثير من الآيات والأحاديث، فإن التقوى اعتبرت المحور الرئيسي للتدين. قال النبي محمد i في حديث كريم: مَن أحَبَّ أن أتقَي النّاس فَليتَوَكل على اللهِ تعالى[1].

حتى أن الهدف النهائي من خلق الإنسان وعباداته التي فرضها الله على عباده هو أن يصل الإنسان إلى مرتبة التقوى. التقوى هي الوسيلة التي يختارها الإنسان للنجاة في طريق

الحياة، وهي أفضل أمتعة الرحلة الأبدية للإنسان. التقوى كأس تزين روح الإنسان وتستر القبح، وكل صفات الإنسان الحسنة هي إطلالة على التقوى. كما أنها تعزز بشكل متبادل الصفات الجيدة والخصال الحميدة وترسخها في وجود الشخص. كل فرد مكلف بالتقوى حسب مستواه ومنزلته الوجودية، وحسب قدراته، ولا يُستثنى من التقوى أي شخص لأي سبب حتى في أسوأ ظروف الحياة. يجب على الجميع ممارسة التقوى قدر استطاعتهم، وما قاله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة/٢٨٦)، لا يعني التهرب من المسئولية، بل التعبير عن مسئولية كل فرد بقدر استطاعته. في الهيكل المصداقي للمتقين، يتم تقديم أمثلة جديرة على الأتقياء الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن الكريم. ومن خفايا الهيكل المصداقي إنشاء رابط بين مصاديق المتقين، الأمر الذي استعصى على العديد من المفسرين ولم يذكره إلا بعض المفسرين الشيعة.

١ـ التعريف بالهيكل المصداقي

الهيكل المصداقي هو الحالات التي يذكر فيها الله تعالى أسماء الأتقياء ويذكر أنه اختارهم بنفسه. عادة ما يكون هؤلاء الأفراد أسوة حسنة وقدوة عينية للأتقياء الآخرين، ويمكن أن يشار إليهم عمومًا على أنهم مختارون من قبل الله في القرآن؛ مثل آدم وهابيل وإبراهيم وموسى ومحمد i ولقمان وهارون وذو القرنين ومريم وزوجة فرعون ويوسف وآل بيت الرسول i وغيرهم من الأنبياء والأولياء. على سبيل المثال، في الآية الكريمة: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ...﴾ (المائدة/٢٧).

وفي سورة يوسف ﴿قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ...﴾ (يوسف/٩٠).

أو في الآية الكريمة ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ؛ موسى به قوم خود گفت: » (الأعراف/١٢٨).

٢-١- مصاديق المتقين في القرآن الكريم

وكما ذكرنا، فإن مصاديق الأتقياء تمثل أولئك الذين صادق الله على تقواهم وجعلهم قدوة لغيرهم. أحيانًا يتم ذكر هذه المصاديق تحديدًا من خلال ذكر أسماء أشخاص كلقمان الحكيم ونوح وإبراهيم والنبي محمد i حتى يصل كل من يسير في طريق التقوى إلى مرتبة هؤلاء الناس ومكانتهم. وسوف نذكر الآيات الخاصة بهذا الموضوع، ونتبعها بشروح المفسرين.

في بعض الأحيان يتم ذكر هذه المصاديق بشكل عام في القرآن. مثل الأنبياء والأولياء، ومن المناسب هنا الرجوع إلى الآيات ذات الصلة. وبالطبع في جميع الآيات التي تتحدث عن مصاديق المتقين بشكل عام، يذكر أيضًا اسم أحد الأنبياء أو الأولياء الإلهيين، وفي نهاية الآية، يتم ذكر الأتقياء بشكل عام. يبدو الأمر كما لو أن الله قصد أن كلاً من الأنبياء هو مثال للمتقين ويأمر المتلقي بأن يكون صالحاً ويقتدي بهم. لهذا السبب، ووفقًا لسياق الآيات، يمكن أيضًا استخدام الآيات التي تشير إلى مصاديق محددة لشرح مصاديق أخرى.

١-١-٢- المصاديق الخاصة للمتقين في الآيات الكريمة

إذا كان من الضروري التعامل مع جميع مصاديق المتقين في القرآن الكريم، فمن الضروري الرجوع إلى وصف وشرح جميع الأنبياء والأولياء الإلهيين وتسمية كل واحد منهم، وهو أمر يستغرق وقتاً طويلاً ويتطلب جهداً كبيراً. لذلك سوف نكتفي هنا بذكر النبي يوسف ويحيى عليهما السلام. من خلال النظر بعناية في الآيات التي تظهر حالة هذين المختارين، فيمكن أن نفهم أن كلاً من الأولياء الإلهيين والأتقياء المختارين من قبل الله قد أظهر مظاهر من التقوى التي يمكن أن تكون مختلفة عن الآخرين، كما أن العناية الإلهية مختلفة بالنسبة لكل منهم. وهذا يدل على أن السير في طريق التقوى على أساس الحب والاختيار والوعي أمر شديد التنوع. على سبيل المثال، عندما يتصرف يوسف a بحزم شديد في مواجهة شهوته، يصبح جديراً في تفسير الأحلام ويرتقي إلى مرتبة عزيز مصر، وينحني له أقرب الناس، ولكن صمود ومثابرة النبي يحيى a ضد اليهود ودعمه لأبيه، جعله يستحق أن ينال الكتاب الإلهي والحكمة الإلهية الخالدة.

١-١-٣- يوسف a

يعد يوسف a من الذين حظوا بمكانة خاصة في أسرته، وكان والده يعقوب a يهتم به كثيراً. طريقة يعقوب في التعامل معه من ناحية، وأعمال يوسف الفطرية والتقوية من ناحية أخرى، لم تعجب إخوته. لهذا السبب، تحاك مؤامرات شريرة بين أشقائه فيأخذونه بعيداً عن أعين أبيه. وهنا يقول الله تعالى ليوسف: ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ...﴾ (يوسف/٩٠).

في هذه الآية تم استخدام "المحسنين" بدلاً "المتقين" بالكامل، لأن الآية تقول: « ﴿...إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصبِر فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجرَ ٱلمُحسِنِينَ﴾ حيث يتوقع المتلقي هنا، بالنظر إلى المبتدأ، أن يقول: «أَجْرَ الْمُتَّقين» لكنه قال: "أَجرَ ٱلمُحسِنِينَ" وهذا العدول في الواقع أبرز دور الإنسان في حياة المتقين.

نوع خطاب يوسف هنا جدير بالملاحظة للغاية. لقد استخدم أسلوب الحكماء وليس هناك شكوى أو نبرة انتقام في كلامه، حيث فتح باب الوعظ والنصح وإيصال رسالته وهي الهدى والإرشاد. إن جملة "أنا يوسف وهذا أخي" هي جملة مبتدأ وخبر، وعلى الرغم من أنهم كانوا يشتكون وربما ينكرون هذا الخبر، إلا أنه تم التعبير عنه دون تأكيد وبطريقة أساسية. وهنا جاء الخبر مخالفاً للمقتضى الظاهري، وتم اعتبار المتردد أو المنكر على أنه غير متردد وغير منكر، لأنه في التصريحات السابقة كانت هناك أدلة تؤكد على هذا الموضوع.

كتب العلامة الطباطبائي في تفسير هذه الآية: في بعض الحالات، يتم تأكيد جملة الاستفهام عن طريق التأكيد على أن الأدلة المحددة كلها تشهد على تحقيق محتوى الجملة، وإذا كانت الجملة استفهامية، فيُقصد بها أن يعترف الجمهور، وإلا فإن المتحدث متأكد حول المحتوى. في هذه الآية دلت جميع الأدلة القاطعة على أن عزيز مصر هو شقيقهم يوسف، فاستخدموا في سؤالهم أدوات التأكيد "إن" و "اللام" و "ضمير الفصل" وقالوا: «إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ؟». فأجابهم يوسف وقال: «أَنَا يُوسُفُ وَ هذا أَخِي». لقد أضاف شقيقه هنا. رغم أنهم لم يسألوا عن أخيه.

وفي رده على سؤال أشقائه يقول يوسف: أنا يوسف. بذكر اسمه الصريح يذكّر بعظمة

الظلم الذي مارسه إخوته به، وكأنه يقول: نعم أنا المظلوم الذي انتهكت حرمته وكنتم تنوون قتله، فتابع قائلاً: "وهذا أخي"؛ أي هذا هو أخي المظلوم مثلي[٢].

في النهاية، استحق يوسف هذه النعمة الإلهية وشكر الله على الكثير من النعم التي منحه إياها، وفي الوقت نفسه علم إخوته درساً عظيماً، قال: «﴿...إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾»؛[٣].

ونقرأ في الآية ٥٦ من سورة يوسف: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

كلمة "تمكين" تعني إعطاء القدرة، وكلمة "تبوء" تعني نزل في المكان وأقام به وكلمة "كذلك" تشير إلى القصة التي تتحدث حول كيفية وصول يوسف إلى منزلة عزيز مصر، وهي سجنه، على الرغم من حقيقة أن قصد زوجة عزيز مصر كان إذلال يوسف وإهانته، إلا أن الله جعله سبباً لكرامته وعزته وكان أبوه يحترمه، وكان إخوته يحسدونه وألقوه في بئر وباعوه إلى قافلة من التجار، ليحولوا ذلك الاحترام إلى إذلال. كما جعل الله سبحانه وتعالى دهاءهم وخداعهم وسيلة لتكريمه في بيت عزيز مصر. ثم حاولت زوجة عزيز مصر أن تراوده عن نفسه لكن الله جعل هذه المؤامرة وسيلة لكشف عصمته وطهارته، وفي النهاية جعل السجن سبباً لعزته بعد أن كان مقرراً أن يكون سبباً لإذلاله[٤].

عندما يريد الله تعالى أن يُظهر رحمته للإنسان، فلا أحد قادر على أن يعارض إرادته، ولا يوجد عائق يمنعه من استخدام إرادته ورغبته، وإذا كان هناك سبب من الأسباب قادر على أن يبطل عناية الله بالإنسان، لفعل ذلك بشأن يوسف، لأنه في حالته فإن كل الأسباب، أي الأسباب التي كانت كافية لإذلاله وإهانته، تكاتفت سوية، لكنها لم تستطع إذلاله، بل على العكس فقد أعزه الله ورفع منزلته[٥].

ويوسف a هو مثال واضح على المتقين، وهو أيضًا مثال واضح على المحسنين والصالحين، وكما قيل في دراسة هيكل مصطلح التقوى واقتراناته، فمن أهم المصطلحات في القرآن والمستخدمة مع المتقين هو "المحسنين"، فالمحسنون في الحقيقة هم الأتقياء الذين حققوا درجات عالية من التقوى، وحيث ذكر الله في القرآن أسماء الأفراد المحسنين

المحددين، مثل يوسف، فلا شك أنه أكد تقواهم أيضًا.

١-١-٤- يحيى a

﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا * وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا﴾ (مريم/١٢ و ١٣).

في الآية الكريمة فسرت كلمة "الحنان" على أنها الرحمة وقد تعني النبوة أو الولاية. كما في قول نوح a : «﴿...وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ...﴾» (هود/٢٨) وقول صالح: « ﴿...وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ...﴾» (هود/٦٣)، وفي كلتا الحالتين، المقصود بالرحمة هو النبوة. وفسّر الآخرون "الحنان" على أنه المحبة، وربما تعني محبة الناس له. وكما قال عن موسى: « ﴿...وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي...﴾» (طه/٣٩) حيث أراد أن يقول عن يحيى a أننا جعلناه بشكل يحبه كل من يقابله. وفسر البعض الآخر الحنان على أنه العطف والرحمة والشفقة والرأفة تجاه الناس. أي أن يحيى a كان خيراً ومحبًا للناس، وهداهم إلى الله وحثهم على التوبة، ولهذا سمي في العهد الجديد "يوحنا المعتمد". وفسر البعض الآخر ذلك على أنه كان محاطاً بحنان الله[٦]. معنى ذلك أن الله كان محباً له، لأنه كما ورد في الروايات، كلما دعا الله أجابه، ولأن الكلمة المعنية هي نكرة أي تأتي بدون "ال" التعريف فهذا يدل على أن الله يكن له محبة خاصة.

ثم قال بعد ذلك "زكاة"، ومعناها النمو الصالح، فينبغي أن يقال إن المعنى الأول لا يتفق معها. أو ينبغي أن يقال إن المراد هو أن الله أنعم عليه باللطف والعناية، فأصلح شؤونه، واعتنى بشأنه وكرامته، وهو ينمو في ظل رعاية الله، أو أنه يحب الله كثيراً، وبناءً على هذا الانجذاب والحب فهو ينمو ويتطور، ومعنى النمو هنا هو نمو الروح.

من هنا يتضح عدم صحة هذا البيان وضعفه حيث قالوا: المراد من الزكاة البركة، ومعناها أننا جعلناه مباركا نافعا ومعلماً خيراً[٧]، وهذا القول أيضاً [٨]: المراد هنا الصدقة ومعناها أننا جعلناه صدقة على الناس[٩]، أو أنه صدقة من الله على والديه، ولكن يتضح هنا ضعف هذا القول من حقيقة أنهم قالوا: ومعنى "الزكاة" الطهارة من الذنوب[١٠].

وكلمة «تقي» صفة مشبهة من التقوى، والتقوى في اصطلاح علماء الصرف مثال واوي. أي أن مادتها الأولية هي القاف والواو والياء، وهذا يعني التقوى والابتعاد عما حرمه الله وتجنب الأعمال المنهي عنها التي تؤدي بالإنسان إلى عقاب الله(١١).

بعد هذا الأمر، أشار إلى المواهب التي أعطاها الله ليحيى a ، أو التي نالها بفضل الله، وقال: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾. يقول ابن عباس: أصبح يحيى نبيًا في سن الثالثة. وروى العياشي عن على بن ساباط أنه قال: في طريقي إلى مصر، ذهبت إلى المدينة المنورة وزرت الإمام جواد. في ذلك الوقت، كان عمره خمس سنوات. تأملت فيه لأشرح صفاته لأصدقائي في مصر. فنظر إلى وقال: جعل الله الإمامة كالنبوة. يقول: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾. (يوسف/٢٢). ويقول: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾. فيجوز إذن إعطاء الحكمة - وهي النبوة والإمامة - لرجل في الأربعين من عمره أو لطفل صغير(١٢).

معنى "الحكم" هو معرفة تعاليم الله الحق واكتشاف الحقائق المخفية وراء حجاب الغيب. والحنان كذلك العطف والشفقة. قال الراغب: وبما أن الإشفاق لا ينفصل عن الرحمة، لذلك فقد عبر الله تعالى عن رحمته بـ "الحنان". ولفظ "تقي" صفة مشبهة من التقوى، والتقوى تعني الابتعاد عما حرمه الله وتجنب الأعمال المنهي عنها التي تؤدي بالإنسان إلى عقاب الله(١٣).

كلمة "جبار" تعني الشخص الذي لا يأخذ في الاعتبار حقاً لأحد وهو متكبر لدرجة أنه يفرض إرادته على الناس ولا يتسامح مع أي شيء من الناس. وهذا المعنى تؤكده الآية موضوع البحث نفسها، والتي تستخدم كلمة "عصي" بعد كلمة "جبار"، لأن "عصي" صفة مشبهة من العصيان، والتي تعني عدم الامتثال للأوامر.

ويمكن القول أن سياق الجمل الثلاث هو موقف يحيى a تجاه الخالق والمخلوق. جملة ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ تعبر عن موقفه من ربه. جملة ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ تحكي عن موقفه تجاه والديه وعبارة ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ تصف سلوكه تجاه الآخرين(١٤).

١-٢- تركيب من السمات العامة والخاصة للمتقين

ومن الجدير بالذكر أن الله قد استخدم باستمرار مصطلح "المتقين" و «الذين اتّقوا». وهذا يعني أن أي شخص يكتسب صفات التقوى ويصبح فاضلاً أخلاقياً سيعتبر أحد المصاديق على ذلك، ولكن التزين بصفات التقوى يمكن لأي شخص أن يدعيه. وفضلاً عن ذكر الله لأنبيائه، فقد ذكر مصطلح "المتقين" بشكل عام. نقرأ في الآية ١٠٩ من سورة يوسف: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟ .﴾.

جملة «أَفَلَمْ يَسِيرُوا» استفهامية خارجة عن معناها الأصلي، وهو استفهام إنكاري للتوبيخ. إن عاقبة العمل والآخرة هي من المبادئ الأساسية في تعاليم القرآن. والدنيا مكان للعبور والآخرة مكان للإقامة. ومن كان عاقلاً ويمارس التقوى ولا يفضل الدار الفانية على الدار الباقية. في الواقع، تم استخدام الأسلوب الكلامي للتعبير عن أهمية التقوى.

وصية الله الأساسية في هذه الآية للجمهور أنه من خلال دراسة أوصاف السلف وأحوالهم، فلا ينبغي أن تزل قدمهم بل عليهم اتباع المختارين من قبل الله، ليكونوا من بين الأتقياء ذوي العاقبة الحسنة.

وقد وصف الله في الآيات السابقة من هذه السورة حال الناس في الإيمان بالله، ثم حال رسول الله i في دعوة الناس وقال إن دعوة الرسول i ناشئة عن الرسالة الإلهية وليست لها أغراض مادية وليس سبيلاً للحصول على فوائد مادية. ﴿وَمَا تَسْئَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (يوسف/١٠٤) وبما أن بعض الأقوام الجاهلين كانوا يعترضون على الأنبياء لأنهم بشر. لماذا لم يتم تعيين هذا الواجب للملائكة؟ حتى أن بعض أهل الجهل كان لديهم نفس الاعتراض على نبي الإسلام i بسبب دعوته العظيمة. يذكر الله في هذه الآية أن السنة الإلهية مبنية على هذا وأن الأنبياء السابقين لم يكونوا ملائكة، بل بعثوا وأرسلوا من بين الناس، وكانوا رجالًا من قومهم يعرفونهم، فأنزل الله عليهم ملاك الوحي ثم بعثهم بين الناس لهدايتهم إلى الله. وهكذا بعث رسول الله i [١٥]. فيما يلي بعض الأمثلة على استخدام القرآن للمصاديق العامة للمتقين، مع ذكر مصاديق محددة منها.

٢-١-١- هابيل والمتقين

وفقًا لمحتوى الآية ٢٧ من سورة المائدة، فإن قبول أفعال الناس يعتمد على طيهم لمراحل التقوى، وكمثال على ذلك أشار تعالى إلى تصرف هابيل تجاه قابيل وقال: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّۘ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِۚ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ . . . ﴾.

إن جملة ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ تتضمن قصر الصفة على الموصوف؛ ومعناها أن الله لا يقبل الأعمال إلا من المتقين.

«يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ» مقصور و «ٱلۡمُتَّقِينَ» مقصور عليه.

إن تقوى العمل شرط الأصالة وتقوى الفاعل شرط كمال القبول. يروي في هذه الآية نفس المبدأ العام عن لسان هابيل بأن الله يتقبل الأعمال من المتقين: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ يعني أن الله لا يقبل أعمال إلا أولئك الذين يعملون في سبيل الله فقط ولا يقصدون الرياء أو السمعة أو الخداع. ولأن قبول العمل مرتبط بالتقوى وللتقوى درجات، فإن قبول العمل سيكون له أيضًا درجات مختلفة. التقوى تمنع ظهور الرذائل النفسية- التي تسبب الحسد والتهديدات غير المبررة ونحوها - وهي أساس قبول الأعمال الصالحة، كما أنها تسبب مثابرة واستقرار المحسودين، لأن ما حافظ عليه هابيل من تهديد قابيل غير المبرر و لم يقدم إجابة غير مناسبة له، بل أجاب الشر بالخير، هو تقواه الخاصة(١٦).

وقد جاء في مجمع البيان: «القربان مايقصد به القرب من رحمة الله». يوجد في هذه الآية إيجاز الحذف. لقد كانت بهذا الشكل في الواقع: «قَرَّبَ كُلُّ واحدٍ منهما قرباناً»؛ في الفعل، جعلهما مشتركين وفي الاسم أشار إلى كل منهما بشكل مفرد.

يقول الطبرسي في تفسير المتقين في هذه الآية: روي عن ابن عباس أن المراد بالمتقين في هذه الآية هو طاهرو القلب، فقد رد هابيل عليه بأن الله لم يقبل قربانك؛ لأن قلبك غير طاهر(١٧). لذلك، أراد هابيل في الواقع أن يشير إلى أن قلب أخيه ملوث بالشرك ومحبة غير الله.

لذلك لا يجتمع الشيطان والملاك في مكان واحد، ولا يمكن أن يكون القرب من الله بالحسد والبغضاء وحب الدنيا، ولهذا قال: «حب الدنيا رأس كل خطيئة».

وصفت هذه الآيات قصة أبناء آدم وقتل أحدهما للآخر بسبب الحسد، وذكر فيها أن الحسد يقود الإنسان إلى قتل أخيه ظلماً، وعندما يدرك أنه من الخاسرين، يندم، والندم هنا لا فائدة منه، ولعل ارتباط ذلك بالآيات السابقة عن بني إسرائيل هو أن الدافع وراء كثير من أفعال بني إسرائيل هو الحسد، والله يحذرهم في هذه الآيات من أن الحسد يؤدي في النهاية إلى الهلاك(١٨).

ولفظة "تلاوة" تعني حدوث شيء تلو الآخر، وإذا سميت القراءة تلاوة، فذلك لأن قارئ القصة يقرأ كلمات تلك القصة الواحدة تلو الأخرى بشكل متتابع. كلمة "نبأ" تعني الأخبار التي تتضمن المنفعة. وتعني كلمة "قربان" أي عمل وأي شيء يمكن من خلاله أن يسعى الإنسان إلى التقرب من الله سبحانه وتعالى أو غيره. ولفظة "تقبل" تعني القبول، وهو القبول الذي يصاحبه الكثير من العناية والاهتمام بالمقبول.

يقول الله عز وجل في هذه الآية: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾. ثم يشرح القصة ويقول: ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾. وهذا الأمر جعل الأخ الذي لم يُقبل قربانه يهدد الآخر بالقتل قائلاً "لَأَقْتُلَنَّكَ"، لكن هابيل نصحه وقال إن حدوث مثل هذا الموقف ليس ذنبي، ولكن ذنبك أنت الذي لم تعمل بالتقوى وإِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ. ثم قال له ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾(١٩).

يتضح من أقوال المفسرين أن قصة هابيل وقابيل هي قصة تربوية وأن التركيز الأساسي للآيات هو إعلان هذا القانون القيم للجميع بشكل عام وهو أن الله لا يتقبل الاعمال إلا من المتقين وبعد إتمام الحجة على الجميع يحذر جميع عباده من أن إمكانية الوصول إلى مرتبة التقوى متوفرة للجميع، ولا يقبل الله عذر أحد.

٢-١-٢- موسى وهارون والمتقين

في الآية ١٢٨ من سورة الأعراف، في وصف مسؤولية النبي موسى a والتبليغ ونقل كلمة الله إلى الناس، ذكر الله التقوى بشكل عام حيث يقول: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

في هذه الآية الكريمة، تصاحب التقوى الاستعانة بالله والصبر. وهذا الاقتران يدل على أن الاستعانة بالله والصبر هي من شروط التقوى. في الواقع، تشير كلمية المتقين هنا إلى أولئك الذين يستعينون بالله ويصبرون.

«إِنَّ ٱلأَرضَ لِلَّه» جملة تعليلية وهي في الواقع تذليل واستخدمت للتأكيد على المعنى السابق «ٱصبِرُواْ». «وَ ٱلْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» فيها إطناب ويمكن أن تكون تذليلاً لما سبقها، لأنها تؤكد على المعنى السابق لها، وهذه البشارة بأن العاقبة للمتقين، هي من ثمار شجرة التقوى.

بغض النظر عن ذكر نبي معين، أي موسى a ، في هذه الآية الكريمة يمكننا بسهولة فهم أن النبي موسى a يدعو قومه إلى الاستعانة بالله والصبر كمصداق للمتقين. طبعا جاء في تفسير هذه الآية أن النبي موسى a يحث بني إسرائيل على التمرد على فرعون ويطلب منهم الاستعانة بالله تعالى في الوصول إلى الهدف وهو التحرر من عبودية فرعون، فينصحهم بالصبر في مواجهة القسوة التي يتوعدهم بها فرعون.

يقول الطبرسي: «وَ ٱلْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ؛ يعني "تمسكوا بالتقوى"(أي خبر بحكم الإنشاء): تمسكوا بالتقوى، لأن عاقبة الخير في الدنيا والآخرة هي للمتقين[٢٠].

يقول ابن عباس: أمر فرعون بقتل الأطفال الذكور لبني اسرائيل. فاشتكى عليه بنو إسرائيل إلى موسى. فقال موسى لقومه: استعينوا بالله للقضاء على شر فرعون[٢١].

في هذه الآية الكريمة، تم شرح خطة موسى a لبني إسرائيل للتعامل مع تهديدات فرعون وشروط الانتصار على العدو، وذكرهم أنه إذا نفذوا الخطط الثلاثة، فسوف ينتصرون بالتأكيد على العدو: أن ملجأهم ومستعانهم الوحيد هو الله ويجب أن يطلبوا منه العون. والشيء الآخر هو الصمود وعدم الخوف من تهديدات العدو وهجماته وعدم الفرار من ميدان المعركة. وللتأكيد على الأمر وتقديم الدليل، يذكرهم بأن الأرض كلها ملك لله وهو المالك والحاكم المطلق، وهو ينقلها إلى من يشاء من عباده، والشرط الأخير هو ممارسة التقوى، لأن المتقين هم المنتصرون. هذه الشروط الثلاثة، أحدها في مجال العقيدة (الاستعانة بالله)، والآخر في مجال الأخلاق (الصبر والاستقامة) والثالث في مجال العمل (التقوى)، لم تكن هي الشروط الوحيدة لانتصار بني إسرائيل على العدو، ولكن

كل أمة تريد الانتصار على أعدائها، فلن تكون قادرة على ذلك بدون هذه الخطة ذات الجوانب الثلاثة[٢٢].

واستكمالا لهذا النقاش يمكن الرجوع إلى الآيتين ٤٨ و ٤٩ من سورة الأنبياء: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ﴾. ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾.

ذكر الله في سورة الأنبياء بعض المقتطفات من سيرة الأنبياء والتي تقترن بنقاط إرشادية للغاية. تذكر هذه الآيات أولاً موسى وهارون ثم إبراهيم وإسحاق ويعقوب ولوط الذين عاشوا قبل موسى وهارون، ثم تذكر قصة نوح، الذي عاش قبلهم. يقول في هذه الآيات عن موسى وهارون: أعطينا موسى وهارون الفرقان كضياء ووسيلة للتمييز بين الحق والباطل، وتذكير للمتقين.

المراد بكلمة "الفرقان" و "الضياء" و "الذكر" التوراة التي أنزلها الله على موسى وأخيه هارون الذي كان شريكًا له في نبوته، وكلمة الفرقان، مثل كلمة الفرق، هي المصدر. لكن الفرقان أكثر بلاغة من الفرق. يقول الراغب إن البعض قال إن الفرقان اسم وليس صيغة المصدر[٢٣]. وإذا سميت التوراة بالفرقان، فذلك إما لأن التوراة تفرق بين الحق والباطل، أو لأنها وسيلة للتمييز بين الحق والباطل في الأعمال والعقائد، فهذه الآية تشبه الآية ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (البقرة/٥٣) وتسمية التوراة بالضياء يعود لأنها أنارت أذهان بني إسرائيل وصورت لهم طريق السعادة والخلاص في الدنيا والآخرة، وتسميتها بالذكر تعود لأنها تحتوي على الحكمة والمواعظ والأمثلة التي تذكر الإنسان بالله وربما هذا هو سبب تسمية التوراة بالفرقان، فقد استخدمت مع ال التعريف على عكس الضياء والذكر. أي أن التوراة هي فرقان للجميع [٢٤]، لكن الضياء والذكر للمتقين فقط، فلا يستفيد من ضيائها وذكره إلا المتقون، ولهذا فقد استخدمت كلمتا الضياء والذكر بصيغة نكرة حتى تقتصرا على المتقين، على عكس الفرقان. كما أطلق القرآن الكريم أسماء النور والذكر على التوراة: « ﴿...فِيهَا هُدًى وَنُورٌ...﴾» (المائدة/٤٤): « ﴿...فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ...﴾» (الأنبياء/٧)[٢٥].

وبما أن الضياء والذكر في هذه الآية جاءا بصيغة نكرة، فيمكن القول إن هذين الأمرين

خاصان بالمتقين، لأن المتقين والذين ينعمون بثمار التقوى يستفيدون من نورها وذكرها، ولهذا السبب جاءت الإشارة للضياء والذكر على شكل نكرة لأنهما يقتصران على المتقين، على عكس كلمة الفرقان التي جاءت على شكل معرفة(٢٦).

في الآية التالية، استُخدمت كلمة "خشية" للتعبير عن الخشية من الله، وكلمة "شفقة" للتعبير عن الخوف من يوم القيامة. على الرغم من أن كلتا الكلمتين تعنيان الخوف، إلا أن هناك اختلافات بينهما. "الخشية" هو الخوف المرتبط بتعظيم وتبجيل شيء ما، وتتحقق هذه الحالة غالباً من خلال المعرفة والوعي بالشيء الذي يحدث بسببه الخوف والخشية، لذلك فإن العلماء يتسمون بمثل هذه الحالة، كما ورد في الآية ٢٨ من سورة فاطر: «﴿...إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ...﴾»، لكن "الشفقة" تعني الانتباه والاهتمام المصحوب بالخوف.(٢٧). في الواقع، يهتم المتقون كثيراً بيوم القيامة، لأنه مركز ثواب الله ورحمته، لكنهم مع ذلك يخشون عقاب الله.

٢-١-٣- الصالح والمتقين

قال الله تعالى عن قوم ثمود في الآيات ١٧ و ١٨ من سورة فصلت: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى فَأَخَذَتْهُمْ صاعِقَةُ الْعَذابِ الْهُونِ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ * وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكانُوا يَتَّقُونَ﴾.

في هذه الآية، "عمى" هي استعارة مصرحة للكفر؛ وهذا يعني أن الكفر والضلال قد شبّها بالعمى، واستعملت هذه الكلمة للتعبير عن ضلالهم. نوع الخبر في الآية ابتدائي وربما يكون كذلك لأن الجمهور يدرك أن شيئًا كهذا واضح وقد يؤثر على كل من لديه مثل هذه الفكرة. إن الإتيان بالفعل الماضي المستمر يعني استمرارية وتجدد عمل المجموعتين. أما إيجاز الحذف فهو موجود أيضًا في هذه الآية وقد ذكر بإيجاز أحداثًا طويلة في بضع جمل. كما أن هناك تضاداً أو طباقاً بين "عمى" و "هدى".

والمراد من هداية قوم ثمود إرشادهم إلى طريق السعادة وتوجيههم إلى صراط الحق. والمراد من قوله: وتعني عبارة "فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى" أنهم فضلوا العمى على الهدى واختاروا العمى. ولا يستحيل أن تدل كلمة "استحباب" على هذه المعاني، ولهذا السبب فقد اتخذت المفعول الثاني من خلال كلمة "على"، وإلا فإن كلمة "استحباب" لو لم تكن

ضمنية فلن تنقل معنى الاختيار والإيثار.

والمقصود بـ "العمى" هو الضلال الذي يطلق عليه مجازيا العمى، وفي حقيقة أن القرآن يضع العمى مقابل الهدى فهو تلميح إلى أن الهدى بحد ذاته مثل البصر بالنسبة للإنسان، كما أن الضلال هو العمى. ولفظ "هون" مصدر، ويعني الذل، وقد وصف العذاب بهذه الكلمة، مع أنه كان يجب أن يقول: "العذاب المهين" لكي يفيد بمعنى المبالغة في الإذلال. كما يمكن اعتبار كلمة "ذي" في سبيل التقدير والقول «فأخذتهم صاعقة العذاب ذي الهون». لذلك، ستضربهم صاعقة عذاب هوانهم.

ومعنى الآية هو: أما قوم ثمود فقد هديناهم إلى الصراط المستقيم وجعلناهم يميزون الهداية عن الضلال، لكنهم فضلوا الضلال وهو في الحقيقة العمى على الهداية التي تمثل البصر للبشر فأخذتهم صاعقة العذاب حيث إن "الصاعقة" تدل على العقاب وإضافتها إلى كلمة "عذاب" بيان بأن هذه العقوبة هي بسبب الأفعال والكفر الذي اقترفوه..

في آية ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾، تم ربط التقوى بالإيمان والتعبير عن التقوى بعبارة "وكانوا يتقون" التي تفيد الاستمرارية بسبب كلمة "كانوا"، والغاية هنا أن نفهم أن هذه الفئة تجمع بين العمل الصالح والإيمان[٢٨]، وهذا الجمع أنقذهم من عذاب الفناء، فقد وعدهم الله تعالى وقال « ﴿...وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم/٤٧) ويبدو أن الآية الكريمة مرتبطة بالقصتين وتكمل كلاً منهما، وإن ظهر من أقوال المفسرين أنها تتعلق فقط بالقصة الثانية[٢٩].

قال بعض المفسرين: من بين كل الناس، لم يؤمن سوى مائة وعشرة أشخاص بالنبي صالح، فحفظ الله تلك المجموعة الصغيرة وأنقذهم في الوقت المناسب. إن ربط التقوى بالإيمان والتعبير عن التقوى بعبارة «وَكانُوا يَتَّقُونَ»، يدل على أن هذه الفئة تجمع بين الأعمال الصالحة والإيمان، وهذا الجمع كان سبب خلاصها من العقاب[٣٠].

نستنتج مما سبق أن المتقين هم أهل البصيرة والهدى، ونقيضهم هم من يختارون العمى في الدنيا، فيكون الأتقياء يستقبلون الهدى والبصيرة برحابة صدر، بينما يختار غير المتقين العمى والضلال. وتجدر الإشارة إلى أن هذه القضية هي من اختيارهم ولم يتم فرض أي إكراه عليهم.

١-٣- أبرز مصاديق التقوى بالنسبة للمتقين

على الرغم من أن ذكر المتقين المعتمدين من قبل الله الذين كانوا يعيشون في الأمم السابقة أمر ذو قيمة عالية وجدير بالاهتمام، إلا أن الله عزّ وجل بذكره لأسمى مصاديق التقى، أي النبي محمد i ، فقد أشار إلى أعلى درجات التقوى ويتوقع من أتباع محمد وأهل بيته d أن يسيروا على خطاهم لدرجة أن لقب أمة محمد بأفضل الأمم. قال رسول الله i : علماء أمّتي أفضل من أنبياء بني إسرائيل؛[٣١]. الآيات التالية هي أمثلة على هذا المصداق الخاص:

- ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ...﴾ (آل عمران/١١٠)
- ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ..﴾ (محمد/٣٥)
- ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا..﴾ (الأحزاب/٢١)
- ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ..﴾ (القلم/٤)

في الآية ٤٩ من سورة هود، يدعو الله تعالى النبي إلى الصبر مع تذكير النبي والناس بالأخبار الغيبية. يبدو الأمر كما لو أنه يبشر بأن الأكثر جدارة من المتقين هم من أمة النبي محمد حيث يقول: «تِلْكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيها إِلَيْكَ ما كُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَ لا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هذا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ».

في هذه الآية، يقول الله للنبي i حول المباحث المذكورة في الآيات السابقة: أيها النبي، هذه كلها أخبار الغيب نكشفها لك. كانت هذه القصص غير معروفة لك ولقومك حتى الآن، في حين أنها تمثل الحقيقة الكاملة والنقية. وإن ما يقوله أهل الكتاب حول مصائر الأمم السابقة محرف. ثم يقول: أيها النبي، بما أننا قد بينا لك مصير نوح وقومه وأن الله قد أورثهم الأرض بسبب صبرهم ونصرهم على أعدائهم، فاصبر أنت أيضاً في سبيل الحق، فالمصير الحسن للمتقين والمتقون هم من يصبرون في سبيل الله[٣٢].

بالطبع، فإن مفتاح تحقيق أعلى درجة من درجات التقوى، مراعاة الصدق في كافة الشؤون الباطنية والظاهرية وأن النبي محمد i هو الأكثر صدقًا بين الناس وقد دعى أتباعه إلى ذلك، ويقول الله تعالى أيضًا في الآية ٣٣ من سورة الزمر: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.

الغرض من الصدق في هذه الآية هو دين الحق والمراد من التصديق به هو الإيمان به. في بعض الروايات المنقولة عن أهل بيت النبي d ، تم تفسير عبارة «وَ الَّذِي جاءَ بِالصِّدْقِ» بالنبي محمد i وجملة «وَصَدَّقَ بِهِ» بالإمام علي a [٣٣].

بالطبع، من الواضح من الآية أن لها أيضًا معنى عام، وجملة «أُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» هي سبب عمومية الآية. لذلك، فإن كل نبي يأتي بدين الحقيقة وهو مؤمن به، بل وكل مؤمن يؤمن بدين الحق ويدعو إليه، مشمول في هذه الآية، لأن الدعوة إلى الحق، سواء كانت بالقول أو الفعل، هي من شؤون اتباع الأنبياء[٣٤]. قام بعض المعلقين بتفسير النصر على النحو التالي: لذا، اصبر أمام ظلم قومك لك في سبيل تبليغ الرسالة، حيث أن نوح صبر وتحمل، وفي النهاية، فإن النصر والغلبة للمتقين.

في تفسير التبيان في هذه الآية روي عن ابن قتادة وابن زيد مايلي: المراد من «المؤمنون جاءوا بالصدق الذي هو القرآن و صدقوا به، و هو حجتهم في الدنيا و الآخرة».[٣٥].

يتحدث الله تعالى في التعبير عن البعد المصداقي للمتقين، سواء بشكل خاص أو بشكل عام، بطريقة تجعلنا نشعر أنه خصص الوجود كله لأهل التقوى ويريد بصراحة أن يكرم هؤلاء المتقين الجديرين. ورب معجزات أظهر قدرته بها على أيديهم. لذلك من المناسب أن نتبع خطى المتقين الذين أشير إليهم في القرآن الكريم، ونجعلهم محور البحوث العلمية والمعرفية في مجال القرآن.

النتيجة:ـ

القرآن الكريم هو كتاب الحياة والنور والمعرفة، وقد تم إيلاء اهتمام كبير به من قبل المسلمين في جميع المراحل والعصور. في العالم الإسلامي، كان هناك دائمًا مصلحون

عظماء عملوا على إحياء الثقافة القرآنية والعودة إليها، ومن أبرزهم النبي محمد i في بُعد أوسع على مستوى العالم حيث سجل اسمه على قمة الدعوة إلى القرآن وتعاليمه. إن سيرته العملية هي النمط المتجسد والمصداق البارز لآية ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح: ٢٩) وهي قدوة لكل حر وموحد يبحث عن الله. وفي غضون ذلك، فإن أنماط النبي i على مستوى السلوك لها أبعاد وخصائص قيمة يمكن أن منارة للمتبعين الحقيقيين للمدرسة القرآنية. إن التعاليم والقدوات العقائدية للمصاديق القرآنية للمتقين تستوحي جوهرها في المرحلة الأولى من الكلمات الإلهية المقدسة وتتدفق في جميع أنحاء القرآن. إن التشجيع على تهذيب النفس وتزكيتها، والإخلاص، والامتثال للمهام التي كلف الإنسان بها، وتجنب الترف والبذخ، وتجنب الإسراف والتبذير وتقبل النقد هي من بين سمات المتقين السلوكية. عند فحص أنماط السلوك الاجتماعي، تعتبر حالات الوحدة والتعاطف كنقطة تحول لتحقيق التطلعات الخالصة والمثل العليا، وكل المصلحين والأئمة المسلمين يعتبرون هذا النموذج مهماً للقيام بهذه المهمة. إن الحفاظ على سمعة الناس وتجنب الغيبة، والإحسان والهداية، وعدم طاعة الظالمين، والتعاطف مع المحرومين والمضطهدين هي من بين أهم الأفكار وأبرز النماذج القرآنية في هذا الشأن.

ومع الدراسة والبحث في آيات القرآن والتفاسير، وجدنا أن مبدأ التقوى هو المصطلح الأكثر أهمية الذي يربط محتوى القرآن ويجعله منسجماً. عندما ننظر إلى الصالحين من وجهة النظر المصادق، فإننا ندرس الآيات التي يشير فيها الله إلى الأمثلة الواضحة للمتقين. الجانب المشترك بين هؤلاء المختارين المخصلين هو أنهم يدافعون عن كلمة الله ويبذلون قصارى جهدهم في الالتزام بهذا الأمر والدفاع عن الحق، ففي سورة الأنبياء، تم تسمية بعضهم في مثل هذه الحالات، وفي سورة الصافات، نلاحظ جوانب الإغاثة الإلهية رداً على الدفاع عن الحق.

هوامش البحث

(١) - القمي، الصدوق، أبو جعفر محمد بن على بن الحسين بن بابويه، من لا يحضره الفقيه ج٤، ص ٤٠٠، ح٥٨٥٨.

(٢)- الطبرسي، الفضل بن حسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٥، ص ٤٠٠.

(٣)- طباطبائي، سيد محمد حسين، الميزان في تفسيرالقرآن، ج ٢، ص ٢٣٧.

(٤)- المصدر نفسه، ص ٢٠١.

(٥)- طباطبائي، سيد محمد حسين، الميزان في تفسيرالقرآن، ج ٢، ص ٢٠٢.

(٦)- انظر: الطبرسي، الفضل بن حسن، مجمع البيان في تفسيرالقرآن، ج ٧، ص ١٨.

(٧)-الآلوسي، سيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، المحقق: عطية، على عبد الباري، ج ١٦، ص٧٣.

(٨)-المصدر نفسه.

(٩)- طباطبائي، سيد محمد حسين، الميزان في تفسيرالقرآن، ج ١٤، ص ٢٤.

(١٠)-الآلوسي، سيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، محقق: عطية، على عبد الباري، ج ١٦، ص٧٣.

(١١)- طباطبائي، سيد محمد حسين، الميزان في تفسيرالقرآن، ج ١٤، ص ٢٥.

(١٢)- الطبرسي، الفضل بن حسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٦، ص ٧٨١.

(١٣)- طباطبائي، سيد محمد حسين، الميزان في تفسيرالقرآن، ج ١٤، ص ١٩.

(١٤)- المصدر نفسه، ص ٢١.

(١٥)- طباطبائي، سيد محمد حسين، الميزان في تفسيرالقرآن، ج ١١، ص ٢٧٨.

(١٦)- جوادي آملي، عبدالله، تفسير تسنيم، تنظيم وتحرير إسلامي، على، ج ٢٢، ص ٣٠٠.

(١٧)- الطبرسي، الفضل بن حسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ١٨٢.

(١٨)- انظر: طباطبائي، سيد محمد حسين، الميزان في تفسيرالقرآن، ج ٥، ص ٢٩٨.

(١٩)- انظر: الطبرسي، الفضل بن حسن، مجمع البيان في تفسيرالقرآن، ج ٣، ص ٢٨٤.

(٢٠)- الطبرسي، الفضل بن حسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٤، ص ٧١٧.

(٢١)- المصدر نفسه، ص ٧١٦.

(٢٢)- انظر: طباطبائي، سيد محمد حسين، الميزان في تفسيرالقرآن، ج ٨، ص ٢٢٤.

(٢٣)- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، ترجمة وتحقيق مفردات ألفاظ القرآن، ترجمة وتحقيق: خسروي حسيني، سيّد غلامرضا، ج ٣، ص ٤٩.

(٢٤)- طباطبائي، سيد محمد حسين، الميزان في تفسيرالقرآن، ج ١٤، ص ٤١٧.

(٢٥)- المصدر نفسه، ص ٤١٨.

(٢٦)- طباطبائي، سيد محمد حسين، الميزان في تفسيرالقرآن، ج ١٤، ص ٢٩٥.
(٢٧)- انظر: العسكري، الحسن بن عبدالله، الفروق في اللغة، ص ٢٣٦؛ صاحب بن عباد، إسماعيل بن عباد، المحيط في اللغة، المحقق: آل ياسين، محمد حسن، ج ٥، ص ٢٤٢.
(٢٨)- طباطبائي، سيد محمد حسين، الميزان في تفسيرالقرآن، ج ١٧، ص ٣٧٧.
(٢٩)-المصدر نفسه.
(٣٠)-المصدر نفسه.
(٣١)-مفيد، محمد بن محمد، المسائل الصاغانية، ص ٦؛ المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار، ج٣٥، ص٣٠٤؛ الجزائري، نعمت الله بن عبد الله، رياض الأبرار في مناقب الأئمة الأطهار، ج٢، ص٤٦٥.
(٣٢)- انظر: طباطبائي، سيد محمد حسين، الميزان في تفسيرالقرآن، ج ١٠، ص ٢٤١.
(٣٣)- المصدر نفسه، ج ٨، ص ٧٧٧.
(٣٤)- المصدر نفسه، ص ٢٦٠.
(٣٥) - الطوسي، محمد بن حسن، د.ت، التبيان في تفسيرالقرآن، بيروت، ج ٩، ص ٢٦.

قائمة المصادر والمراجع

- قرآن كريم، فولادوند، محمدمهدى، ١٤١٨ هـ. ق، ترجمه قرآن(فولادوند)، محقق: هيئت علمى دارالقرآن الكريم، ايران- تهران، دفتر مطالعات تاريخ و معارف اسلامى.

١- آلوسى، سيد محمود، ١٤١٥ ق، روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم، محقق: عطية، على عبدالبارى، بيروت، دارالكتب العلميه.

٢- جوادي آملي، عبدالله، تفسير تسنيم، ١٣٧٨هـ. ش، تنظيم و ويرايش اسلامي، على، قم، مركز نشر اِسراء.

٣- راغب اصفهانى، حسين بن محمد، ١٣٨٧ هـ. ش، ترجمه و تحقيق مفردات ألفاظ القرآن، ترجمه و تحقيق: خسروي حسيني، سيّد غلامرضا، قم، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية.

٤- طباطبايى، سيد محمد حسين، ١٤١٧ق، الميزان فى تفسير القرآن، قم، دفتر انتشارات اسلامى جامعهى مدرسين حوزه علميه قم.

٥- طباطبايى، محمدحسين، ١٤٠٢ هـ.ق-١٣٧٤هـ.ش، ترجمه تفسيرالميزان، مترجم محمد باقر موسوى، قم، دفتر انتشارات اسلامي.

٦- طبرسى، فضل بن حسن، ١٣٧٥هـ. ش، ترجمه تفسير جوامعالجامع، عبدالحميدى، على، غفورى، اكبر، اميرى شادمهرى، احمد، صاحبى، عبدالعلى، آستان قدس رضوى، ايران- مشهد مقدس، بنياد پژوهشهاى اسلامى.

٧- طبرسى، فضل بن حسن، تفسير جوامعالجامع، ١٤١٢هـ. ق، مصحح: گرجى، ابوالقاسم، ايران- قم، حوزه علميه قم - مركز مديريت.

٨- طبرسى، فضل بن حسن، ١٤٠٠هـ. ق، ترجمه تفسير مجمعالبيان، مترجم: نورى همدانى، حسين، محقق: مفتح، محمد، ترجمه و تصحيح رسولي، هاشم، مترجم: بهشتى، احمد، مصحح: موسوى كلانترى، سيد آقا، فراهاني-تهران.

٩- طبرسى، فضل بن حسن، ١٣٧٢ش، مجمع البيان فى تفسيرالقرآن، تهران، انتشارات ناصر خسرو.

١٠- طوسى، محمد بن حسن، بيتا، التبيان فى تفسيرالقرآن، بيروت، دار احياء التراث العربى.

١١- عسكرى، حسن بن عبدالله، ١٤٠٠ ق، الفروق في اللغة، بيروت، دار الآفاق الجديدة.

١٢- مفيد، محمد بن محمد، ١٤١٣ق، المسائل الصاغانية، قم، كنگره شيخ مفيد.

١٣- قمي، صدوق، ابي جعفر محمد بن على بن الحسين بن بابويه، ١٤٠٦هـ.ق-١٩٨٦ م، بيروت-لبنان، من لا يحضرالفقيه، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.